أيديولوجيا العولمة في الخطاب الإعلاميّ الغربيّ الناطق بالعربيّة

فرانس 24 أنموذجا

د. خلود كنيس

المعهد العالي للغات، جامعة قابس، تونس

kniskhouloud@gmail.com

https://orcid.org/0009-0001-5909-1344

الملخّص

تقدّم هذه المقالة قراءة نقديّة للأبعاد الأيديولوجيّة لخطاب العولمة في الإعلام الغربيّ: فرانس24 أنموذجا، ودورها في تعزيز علاقات السلطة غير المتكافئة في العالم، خاصّة أنّ وسائل الإعلام تضطلع بدور الوسيط في دعم القوى المهيمنة أو إعادة إنتاجها ضمن نظام اجتماعيّ وثقافي معيّن. تعدّ العولمة (globalization) في مفهومها العام مجموعة من العمليّات تتجسّد غالبا في العلاقات والتبادلات التجاريّة، إضافة إلى انتشار مظاهر التفاعل الإعلاميّ والتكنولوجيّ عبر الدول، أمّا العولميّة (globalism) فهي خطاب يُدافع عن العولمة ويسعى إلى تعزيزها في دول العالم بادّعاء أنّها السبيل لتحقيق التقدّم البشريّ. إنّ العولميّة من المنظور النقديّ للخطاب، وتحديدا عند فيركلف (Fairclough) هي خطاب العولمة، وهي تصوّرات تتشكّل من خلال استخدام معانٍ محدّدة في الخطاب. نهدف من خلال هذه المقالة إلى الكشف عن مظاهر العولميّة في الخطاب الإعلاميّ الغربيّ الناطق بالعربيّة (فرانس24 مثالا)، بالنظر في الاستراتيجيّات الخطابيّة المضمّنة في النّصوص الإعلاميّة والدّالة على منظومة قيميّة داعمة لأيديولوجيا العولمة، إضافة إلى الممارسة الخطابيّة للمؤسسة الإعلاميّة وعلاقتها بأجندة وسائل الإعلام المُعولمة، والممارسات الاجتماعيّة الساعية إلى تحقيق الهيمنة السياسيّة والاقتصاديّة والثقافيّة، وإضفاء الشرعيّة عليها. لتحقيق ذلك، نستند منهجيّا إلى التحليل

النقدي للخطاب (Critical Discourse Analysis) أو ما يُعرف بالمختصر (CDA)، وهو بحث تحليليّ تتقاطع فيه جميع التخصّصات ذات الصّلة بالعلوم الاجتماعيّة، ورؤية نقديّة تربط في تحليل الخطاب بين التحليل اللّساني وممارسات السلطة والهيمنة والأيديولوجيا. ونعتمد تحديدا منهج فيركلف الجدليّ-العلائقيّ في تحليل مدوّنة تتكوّن من مجموعة من التقارير الإخباريّة الصادرة عن الموقع الإلكتروني فرانس24، إضافة إلى بعض برامج القناة التلفزيونيّة. ومن أهمّ النتائج التي كشف عنها التحليل النقديّ لهذه المدوّنة: (1) الترويج لخطاب يمجّد العولمة والقيم الليبراليّة الحداثيّة المعولمة باعتبارها قوّة خيّرة (2)، تركيز المؤسّسة اهتمامها على العنف والإرهاب في دول الجنوب وإغفال الحديث عن قضايا أخرى في المنطقة (3)، وتشويه كلّ ما هو محلّي في إحالة إلى القيم الدينيّة خاصّة.

الكلمات المفاتيح: المعنى، الخطاب الإعلامي، فرانس24، العولمة، الأيديولوجيا، التحليل النقدي للخطاب.

The Ideology of Globalization in Arabic-Speaking Western Media:

France 24 as a Case Study

Dr. Khouloud Knis
Higher Institute of Languages, University of Gabes, Tunisia
kniskhouloud@gmail.com
https://orcid.org/0009-0001-5909-1344

ABSTRACT

This paper presents a critical reading of the ideological dimensions of globalization discourse in Western media, taking France 24 as a case study. It examines the role of these dimensions in perpetuating unequal power relations globally, especially since the media plays a mediating role in supporting dominant powers or reproducing them within a particular social and cultural system. Globalization, in its general meaning, is a set of processes often embodied in commercial relations and exchanges, and in the spread of media and technological interactions across countries. Globalism, on the other hand, is a discourse that advocates for globalization, and seeks to promote it globally, claiming that it is the path to achieving human progress. From the perspective of Critical Discourse Analysis (CDA), specifically according to Fairclough's dialectical-relational approach, globalism is a discourse on globalization, formed through the use of language in context. This paper seeks to uncover the manifestations of globalization in Arabic-speaking Western media (France 24 as a case study) by examining the rhetorical strategies embedded in media texts that reflect a system of values supporting the ideology of globalization. It also examines the discursive practices of media institutions and their relationship to the globalized media agenda, as well as the social practices that seek to

achieve and legitimize political, economic, and cultural hegemony. To achieve this, the paper employs CDA, an analytical framework that explores all intersecting disciplines related to the social sciences, and a critical vision that links linguistic analysis with practices of power, hegemony, and ideology. It uses a corpus consisting of a collection of news reports published on the France 24 website, in addition to some of the channel's television programs. The analysis of the corpus in focus helped reach interesting findings, including (1) the promotion of globalized modern liberal values as a force for good, (2) the focus on violence and terrorism in the countries of the South while neglecting other issues in the region, and (3) the distortion of local specificities when referring to religious values in particular.

Keywords: Media discourse, France 24, globalization, ideology, CDA.

مقدّمة

تعدّ العولمة قوام النظام العالميّ الجديد، وهي في تعريف عام تحويل العالم إلى قرية صغيرة بتكثيف الترابط بين الدول في الاقتصاد والثقافة والتكنولوجيا لتسهيل تنقّل السلع والأفكار عبر الحدود. قد يراها بعض الباحثين أمثال عالم الاجتماع البريطاني رولاند روبرتسون (Roland Robertson) حقيقة تاريخيّة ويراها آخرون، منهم خاصّة عالم الاجتماع الكنديّ روبرت كوكس (Robert Cox)، مجموعة من العمليّات الاقتصاديّة أو من تجلّيات الثورة التكنولوجيّة، لكنّها من منظور فيركلف (Fairclough)، أحد روّاد التحليل النقدي للخطاب، هي مصطلح ينتمي إلى عالم الهيمنة الحضاريّة، وهي ليست إلّا تأكيدا لقواعد سيطرة القوى الكبرى على العالم وتعميم غلبتها عليه سياسيّا واقتصاديّا وثقافيّا. وتضطلع وسائل الإعلام باعتبارها فضاءً تُمارس فيه السلطة الرمزيّة، بدور هامّ في دعم أنظمة هذه القوى ومبادئها الليبرالية، فهي من وجهة نظر فيركلف، «تُسهم في نشر الخطاب والادّعاءات والافتراضات العالميّة والقيم والمواقف والهويّات الّتي هي شروط التنفيذ الناجح للعولمة،» (Fairclough, 2009, p. 328) ويعود ذلك للعلاقة الوثيقة بين صناعة الاتّصالات العالميّة والوكالات العامّة من جهة والشركات أو الدول المهيمنة عليها من جهة أخرى، إذا استثنينا بعض الصحف والإذاعات المستقلّة الّتي تحدّت مقوّمات العولمة الغربيّة وكان لها تأثير في العديد من البلدان.

يرى فيركلف أنّ عمليّات العولمة هي اختيارات أيديولوجيّة تخدم مصلحة الوكالات العالميّة. ووسائل الإعلام، باعتبارها وسيطا، تتضمّن «انتقال المعنى» من ممارسة اجتماعيّة إلى أخرى، وهي تسهّل القدرة على الفعل عن بعد، فهي بذلك سيرورة تتضمّن «تحسين قدرة بعض الناس على التأثير في أفعال (actions) الآخرين، وتشكيلها من مسافات مكانيّة وزمانيّة بعيدة» (Fairclough, 2003, p. 30). وهذا من أبرز مظاهر السلطة في المجتمعات المعاصرة. يقول فيركلف: «هذه القدرة الّتي اعتبرت إحدى السمات المحدّدة لـ»العولمة» المعاصرة، هي من العوامل الّتي تسهّل ممارسة السلطة» (Fairclough, 2003, p. 30). وبناءً على ذلك يعتبر فيركلف أنّ وسائل الإعلام العالميّة خاصّة، أصبحت أداة في يد أصحاب النفوذ لبسط هيمنتهم أو الحفاظ عليها (Fairclough, 2009, p. 328).

إنّ الّذي يعنينا من هذا المبحث التركيز على الخطاب الإعلاميّ لمؤسسة فرانس 24 الممجّد للعولمة، بالنظر في الادّعاءات الأيديولوجيّة المضمّنة في اختياراته النصيّة واستراتيجيّاته الخطابيّة. ويقوم منهج البحث تبعا لذلك، على قسم نظريّ يضبط المفاهيم الأساسيّة مثل «العولمة»، «العولميّة» و«الوساطة الإعلاميّة» و«الادّعاءات الأيديولوجيّة» للعولمة من منظور ستيكر (Steger)[1]، أمّا القسم الثاني فهو تطبيقيّ يتكوّن من تعريف بالإطار التحليليّ ثم تطبيق منهج فيركلف في التحليل النقدي للخطاب على مدوّنة البحث باختيار السمات اللّسانيّة الموظّفة في الاستراتيجيّات الخطابيّة الدّالة على أيديولوجيا العولمة، وهي المعجم والبنية الموضوعاتيّة (thematic structure) لعناوين الحصص تحديدا، ثمّ نحلّل الممارسة الخطابيّة ونهتمّ فيها بالعمليّات المؤسساتيّة وظاهرة التّناص، لننهي بمرحلة التفسير والتأويل.

1. خطاب العولمة أو العولميّة (Globalism) والوساطة الإعلاميّة

إنّ وسائل الإعلام أدوات لتحقيق الهيمنة بمفهوم غرامشي، وهي تلك السلطة الّتي تُفرض دون اللّجوء إلى القوّة أو الإكراه، وإنّما تتحقّق من خلال الموافقة والقبول أو الإذعان، وتضطلع الأيديولوجيا المُضمّنة في اللّغة والخطاب بدور مهمّ في تحقيق ذلك. فالخطاب الّذي يمجّد العولمة، والّذي يظهر أساسا من خلال مفاهيم رئيسة مثل «الحداثة»، و«العلمانيّة»، و«الديمقراطيّة»، و«الأمن»، و«العالميّة»، و«الحرب على الإرهاب»...، يساعد الأطرافَ المهيمنةَ على السيطرة دون الحاجة إلى القوّة الماديّة. يعتبر ستيكر المتخصّص في أبحاث العولمة بجامعة هاواي أنّ الأيديولوجيا تركّز على كيفيّة إسهام خطابات معيّنة للعولمة بشكل منهجيّ في إضفاء الشرعيّة على نظام عالميّ معيّن يتضمّن علاقات قوّة غير متكافئة مثل تلك الموجودة بين البلدان وداخلها (Steger, 2005).

(1) مانفريد ب. ستيكر (Manfred Steger) أكاديمي ومؤلّف أمريكي. وهو أستاذ علم الاجتماع في جامعة هاواي في مانوا. يركز بحث مانفريد ستيكر على العولمة من منظور اجتماعيّ وكيف تشكل الأنظمة الرمزية مثل الأفكار والمعتقدات واللغة خطاب العولمة ويفحص دور الأيديولوجيات المتنافسة للعولمة في العالم المعاصر.

إنّ الأيديولوجيا وسيلة من وسائل السلطة، فهي طريقة تشكّل علاقات القوّة وتدعمها من خلال إنتاج الموافقة، ويمكن لعلاقات القوّة غير المتكافئة الّتي يتمّ تضمينها في الخطاب أن تُوَلّد تصوّرات عن الكيفيّة التي سيكون وفقها العالم، أو يجب أن يكون عليها ضمن استراتيجيّات التغيير التي يمكن تفعيلها لتحويل هذه التصوّرات إلى أشكال فعليّة من العولمة. وحين نطبّق التحليل النقديّ للخطاب على منتجات بعض وسائل الإعلام الغربيّة «المُعَولَمَةِ» الموجّهة إلى الجمهور العربيّ مثل «فرانس 24» الناطقة بالعربيّة، نكتشف خطابا يمجّد تجلّيات العولمة كما يراها الغرب تحديدا، وهي تُسهم في نشر خطاب يدعم القيم الّتي تساعد على التنفيذ الناجح للعولمة، وذلك مظهر من مظاهر اشتغال الخطاب الإعلاميّ أيديولوجيّا.

استنادا إلى ذلك، يُنظر اليوم إلى وسائل الإعلام باعتبارها أداة من أدوات تعزيز العولمة وتيسير تبادل الثقافات وتدفّق المعلومات من خلال البثّ الإخباريّ الدوليّ، وبرامج التلفزيون والأفلام والموسيقى، خاصّة أنّ أنظمة الإعلام السائدة الّتي كانت قبل تسعينيات القرن العشرين ذات النطاق الوطنيّ نسبيّا، قد أصبح معظمها وسائل اتّصال عالميّة بشكل متزايد، ووسّعت نطاقها لتغزو الجماهير في جميع أنحاء العالم. كما مهّد ظهور وكالات الأنباء الدوليّة في القرن التاسع عشر مثل رويترز (Reuters) وفرانس برس (France Presse) وأسوشيتد برس (Associated Press) ويونايتد برس أنترناشونال (United Press International) الطريق لبداية نظام عالميّ جديد. فقد عملت هذه الوكالات على نشر أجندة عالميّة، وأسهمت في خلق تصوّرات معيّنة للعالم النامي باعتباره مكانا للفساد والانقلاب والكوارث عند المتقبّل الغربيّ (بويحيى وكيحول، 2021). وهو ما سنسعى إلى دعمه من خلال تطبيق مقاربة التحليل النقديّ للخطاب عند فيركلف تحديدا، على المدوّنة.

تظلّ هذه الوكالات الأربع الأكثر هيمنة على عمليّة نشر الأخبار والمعلومات في العالم، إذ تعتمد عليها العديد من الصحف وغيرها من الوسائط الإعلاميّة في جميع أنحاء العالم للحصول على الأخبار الدوليّة. فهي مصدر الأخبار العالميّ (Matos, 2012, p. 4)، والمزوّدة بالمعلومات العامّة، وهي بذلك المصدر الأساسيّ لوجهات النظر والأفكار لتحديد ما هو صواب وما هو ممكن، وهي المزوّد الرئيس للشرعيّة والمصداقيّة للقوى الموجودة.

من هذا المنطلق يُنظر إليها على أنّها مركزيّة لأطروحة العولمة وترتبط ارتباطا وثيقا بتحديث الغرب وتوسّع وسائل الاتّصال، فقد انشغلت أهمّ النظريّات التي نشأت في مجال الاتّصالات الدوليّة مثل «نظريّة التحديث» بالطرق الّتي يمكن أن تساعد بها وسائل الإعلام في تحويل المجتمعات التقليديّة لضمّها إلى مدار الرأسماليّة الحديثة. بالإضافة إلى ذلك، أسهمت هذه الوكالات في توحيد الثقافة العالميّة ومحتوى الأخبار التلفزيونيّة الدوليّة من خلال إعطاء الأولويّة للمصالح الغربيّة في السياسة والاقتصاد والثقافة، وساعدت على جلب العالميّ إلى المحليّ بناءً على أجندات دوليّة تؤثّر في الحكومات الوطنيّة.

إنّ الوساطة الإعلاميّة كما يراها محلّلو الخطاب تحليلا نقديّا مثل فيركلف هي مظهر من عمليّات العولمة (Fairclough, 2006, p. 23). وهذا ما يجعل العولمة عمليّة مدفوعة من أعلى تعود أساسا إلى شبكات إعلاميّة عملاقة مدعومة بسياسات تحرير القيود التنظيميّة الّتي تنتهجها دول مختلفة.

2. الخطاب الإعلاميّ وأيديولوجيا العولمة

1.2. العولمة: أيديولوجيا في الخطاب

أُستُخدم مصطلح العولمة لوصف سيرورة تودّي إلى حالة اجتماعيّة تتّسم بوجود ترابطات وتدفّقات اقتصاديّة وسياسيّة وثقافيّة وبيئيّة عالميّة، فالعولمة في جوهرها تتعلّق بتغيير أشكال الاتّصال البشريّ ومثلها مثل «التحديث» يوحي بنوع من الديناميّة الّتي يمكن أن نعبّر عنها بمفهوم «التطوّر» وفقا لأنماط واضحة، وهو تطوّر قد يكون سريعا أو بطيئا، ولكنّه يتوافق دائما مع فكرة التغيير.

إنّ العولمة الليبراليّة الجديدة هي في جزء منها نظام خطاب يتمّ تفعيله من خلال طرائق التمثيل، والتفاعل التواصليّ في العمل والإدارة والسياسة، ومن خلال الانغماس في أساليب العيش والهويّات الاجتماعيّة والشخصيّة. وباعتبارها نظام خطاب فهي تتجلّى في مفردات مميّزة ترتبط بها، فالتعبيرات اللّسانيّة: «أسواق» و«التجارة الحرّة» و«التحديث» و«التحرير» و«الأمن» و«المرونة» و«الديمقراطيّة» إلخ، هي ما يعطيها قيمة لملازمة اللغة لطبيعة البشر، وما يمكن أن ينتج عنها من تغيير للواقع. فمن يمتلك الخطاب ويتحكّم في معاني الكلمات هو من يمتلك السلطة.

يصف ستيكر الخطاب الممجّد للعولمة بأنّه سرديّة وأيديولوجيا، فهي وان خلقت مساحة للعمل غير المقيّد والمربح بالنسبة إلى الشركات في الدول العظمى خاصّة الولايات المتّحدة، إلّا أنّ استراتيجيّة تعميم ذلك في شرق آسيا وأمريكا اللاتينيّة وروسيا وإفريقيا أظهرت تنازلات كبيرة في هذه المناطق، دون أن يحدث تغيير فعليّ داخلها، وهو ما جعل خطاب العولمة يواجه أدلّة صارخة على إخفاقاتها (Steger, 2005, p. 23).

2.2. الادّعاءات الأيديولوجيّة بحسب ستيكر

الادّعاءات الأيديولوجيّة هي المزاعم التي تمنح أنظمة فكريّة معاني محدّدة تفيد مجموعات اجتماعيّة بعينها، من خلال تعزيز قدرتها على الاستجابة لمجموعة واسعة من الأسئلة، إضافة إلى أنّها تجذب شرائح أوسع من السكّان. ومن منظور ستيكر بمجرّد أن تصل هذه المزاعم الأيديولوجيّة إلى النضج، فإنّها تنجح في إقناع جماهيرها، ودفعهم إلى العمل محليّا بنظرة عالميّة.

- **الادّعاء الأوّل: العولمة تدور حول تحرير الأسواق وتكاملها العالميّ**

بشكل عام، يتّفق المحافظون الجدد مع الليبراليين الجدد على أهمّية الأسواق الحرّة والتجارة الحرّة. لكنّ المحافظين الجدد ينادون باستخدام أكثر حزما وتوسّعا للقوّة الاقتصاديّة والعسكريّة على الرغم من أنّهم غالبا ما يتبنّون النموذج الليبرالي المتمثّل في تعزيز "الحريّة" و"الديمقراطيّة" في مختلف أنحاء العالم (Steger, 2005, p. 16).

يسعى الادّعاء الأوّل من خلال تبنّي الفكرة الليبراليّة إلى إثبات تعريف للعولمة على نحو لا جدال فيه، وهو تعريف مصمّم للاستهلاك العام الواسع، مرتبط بمفاهيم مجاورة مثل «الحريّة» و«التكامل». والفكرة الأساسيّة التي يقوم عليها والدافعة للانخراط في عمليّات العولمة هي رأسماليّة السوق الحرّة، فكلّما فتحت اقتصادك أمام التجارة الحرّة والمنافسة كان اقتصادك أكثر كفاءة.

يؤكّد الادّعاء الأوّل أنّ العولمة تعزّز الحريّة الانسانيّة، فلا بدّ أن تُطبّق على جميع البلدان بغضّ النظر عن الاختيارات السياسيّة والخصوصيّات الثقافيّة للشعوب.

- **الادّعاء الثاني: العولمة حتميّة، ولا رجعة فيها**

كان الخطاب العام حول العولمة ومساراتها مشبعا بعبارات مثل «لا يُقاوم»، «لا مفرّ منه»، «لا هوادة فيه»، «لا رجعة فيه»...، إذ إنّ تقديم العولمة على أنّها نوع من

القوّة الطبيعيّة مثل الجاذبيّة يسهّل على دُعاة العولمة إقناع الناس بأنّهم مضطرّون للتكيّف مع انضباط السوق إذا كانوا يريدون البقاء والازدهار (Steger, 2005, p. 18).

- **الادّعاء الثالث: لا أحد يتولّى زمام الأمور في العولمة**

«إنّ الجمال العظيم للعولمة في أنّها لا تخضع لسيطرة أيّ فرد أو حكومة أو مؤسّسة، لا يوجد أحد مسؤول»، لكنّ هذا الادّعاء من منظور ستيكر أصبح من الصعب تصديقه بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001. فقد أصبح من الواضح أنّ بقاء العولمة التي تُصوّر على أنّها تحرير للأسواق والتكامل العالميّ، يعتمد أساسا على القيادة السياسيّة للولايات المتّحدة الّتي «تمارس قوّتها بعد أن أخفوا طموحات بلادهم الامبرياليّة وراء لغة العولمة الناعمة خلال التسعينيات، خلع العديد من العولميّين الأمريكيّين قفّازاتهم بعد الحادي عشر من سبتمبر» (Steger, 2005, p. 20).

- **الادّعاء الرابع: العولمة تفيد الجميع**

تُفكك فكرة «الفوائد للجميع» في مصطلحات مادّيّة «النمو الاقتصادي»، و«الازدهار»... مثال من بيان مشترك في قمة الدول السبع الأكثر قوّة في العالم: «إنّ النموّ الاقتصادي والتقدّم في عالم اليوم يرتبطان بعمليّة العولمة، وتوفّر العولمة فرصا عظيمة للمستقبل، ليس فقط لبلداننا، بل وأيضا لجميع البلدان الأخرى» (Steger, 2005, p. 21)

إذا ربطنا بين مفهوم «التقدّم في العولمة» و«الفوائد للجميع» فإنّنا نستفيد أيضا من الرؤية الاشتراكيّة الّتي تتلخّص في «إقامة جنّة اقتصاديّة عل الأرض»، فهذا الادّعاء يجمع عناصر من أيديولوجيات متضاربة.

- **الادّعاء الخامس: العولمة تعزّز انتشار الدّيمقراطيّة في العالم**

يكشف التحليل الدقيق للخطاب أنّ دعاة العولمية في نصوصهم يميلون إلى التعامل مع «الحريّة» و«الأسواق الحرّة» و«التجارة الحرّة» و«الدّيمقراطيّة» باعتبارها مصطلحات مترادفة. مثال من خطاب هيلاري كلينتون «إنّ ظهور الشركات ومراكز التسوّق الجديدة في البلدان الشيوعيّة السابقة، ينبغي أن يُنظر إليه باعتباره العمود الفقريّ للديمقراطيّة» (Steger, 2005, p. 22).

يرى ستيكر أنّ الادّعاء بأنّ العولمة تُعزّز انتشار الدّيمقراطيّة في العالم، يستند إلى حدّ كبير إلى فهم ضيّق للديمقراطيّة، لأنّ الانتخابات في شكلها الرسميّ توفّر

الوظيفة المهمّة المتمثّلة في إضفاء الشرعيّة على حكم النُخب المهيمنة، الأمر الّذي يجعل من الصعب على الحركات الشعبيّة تحدّي حكم النخب.

- **الادّعاء السادس: العولمة تتطلّب حربا على الإرهاب**

يبدو أنّ هذا الادّعاء ظرفيّ؛ لأنّه إذا لم يعد الإرهاب العالميّ يشكّل قضيّة كبرى، فإنّه سوف يختفي دون أن يسبّب انهيارا للعولمة. إنّ الحريّة تحت تهديد السلاح تتعارض مع الفهم الشائع للحريّة باعتبارها غيابا للإكراه. يحمل هذا الادّعاء مخاطر كبيرة تتسبّب في ضرر لا يمكن إصلاحه للتماسك المفهومي للعولمة. يقسّم توماس بارنيت (Thomas Barnett)، الجيواستراتيجي العسكريّ الأمريكيّ في مقال له، العالمَ إلى ثلاث مناطق، تتميّز الأولى بالعولمة الكثيفة، والمعاملات الماليّة وتدفّقات وسائل الإعلام اللّيبراليّة والأمن الجماعيّ، ممّا أسفر عن دول تتمتّع بحكومات ديمقراطيّة مستقرّة، ومستويات معيشة مرتفعة هي أمريكا ومعظم أوروبا وأستراليا ونيوزلندا وجزء صغير من أمريكا اللاتينيّة. ويطلق على هذه المناطق اسم «النواة المتناغمة». وعلى العكس منها المناطق الّتي تتضاءل فيها العولمة أو تغيب تماما وهي مناطق تعاني من الأنظمة السياسيّة القمعيّة والفقر والقتل الجماعيّ والمرض وهي كلّ أفريقيا تقريبا، والبلقان والقوقاز وآسيا الوسطى والصين والشرق الأوسط ومعظم جنوب شرق آسيا. ويشير بارنيت إلى هذه المنطقة باعتبارها أرضا خصبة للإرهابيين العالميّين. ويطلق عليها اسم «الفجوة غير المتكاملة»، وبين هاتين المنطقتين نجد دول التّماس التي تقع على الحدود الدمويّة للفجوة (المكسيك، والبرازيل، وجنوب أفريقيا، والمغرب، وماليزيا...) (Steger, 2005, p. 24–25).

تتجسّد هذه المزاعم في الخطاب، وهو ما نسلّط عليه الضوء في تعاملنا مع مصطلح «العولمة»، أي تلك الممارسات الخطابيّة المعقّدة والمتناقضة أحيانا، الّتي تعمل على تغيير حالتنا الاجتماعيّة الحاليّة بتعزيز الوعي لدى الناس بالارتباطات المتعمّقة بين المحليّ والعالميّ. فأيديولوجيا العولمة هي الاعتقاد الّذي يمنح كلمة «العولمة» معايير وقيما تسعى إلى تنمية الهويّات الاستهلاكيّة لدى مليارات البشر في جميع أنحاء العالم.

فالادّعاءات الأيديولوجيّة تتحدّث إلى جماهيرها من خلال قصص مقنعة، تضفي الشرعيّة وتنزعها، تشيد وتُدين وتُميّز «الحقائق» عن «الأكاذيب»، وتفصل «الخير»

عن «الشرّ»، ومع أنّها تمكّن الناس من التصرّف سياسيّا، فهي تُقيّد أفعالهم من خلال ربطهم بنظرة عالميّة محدّدة. وهو ما جعل خطاب العولمة ينجح في إقناع الشعوب أنّ العولمة إيجابيّة. يقول ستيكر: «من المدهش أنّ الدعم الشعبيّ للعولمة كان مرتفعا بشكل خاصّ في البلدان الفقيرة في الجنوب العالميّ». (Steger, 2005, p. 14). لذلك تمثّل العولمة «الخطاب القويّ» الّذي من الصعب مقاومته لأنّه يقوم على الاعتقاد السائد بأنّ برنامجها التوجيهيّ ينبع في النهاية من وصف موضوعيّ لـ «العالم الحقيقيّ».

3. إطار التحليل

1.3. منهج التحليل: المقاربة الجدلية العلائقية لنورمان فيركلف

هي من أهمّ مقاربات التحليل النقديّ للخطاب (CDA) الّذي ظهر في أواخر القرن العشرين، على غرار المقاربة التاريخيّة عند روث ووداك (Wodak) والمقاربة الاجتماعيّة–العرفانيّة عند توين فان دايك (Van Dijk)، وقد استثمر فيركلف في معظم مقاربات تحليل الخطاب في منهجه التحليليّ للخطاب الإعلاميّ، يدعم ذلك قوله: «أريد أن نجمع معا من مراجعة النظريات، قائمة في التحليل النقدي المناسب للخطاب الإعلاميّ، ستوفّر هذه القائمة بعد ذلك أساسا لوضع الإطار التحليلي الخاصّ بي». (Fairclough, 1995, p. 33). لذلك تعتبر مقاربته مرجعا أساسيّا في تحليل الخطاب الإعلاميّ على مدى السنوات العشر الأخيرة.

يركّز فيركلف اهتمامه على اللغة والملامح السيميائيّة الأخرى الّتي يرى أنّها تشتغل أيديولوجيّا في الخطاب، وهي من هذا المنطلق تضطلع بدور حاسم في إعادة إنتاج علاقات القوّة في مجتمع ما، أو تعزيزها، من خلال أشكال مختلفة من الخطاب مثل الحديث أو النصّ أو الوسائط المرئيّة. ويوظّف في بحثه التحليليّ للخطاب جميع التخصّصات المتقاطعة ذات الصلة بالعلوم الانسانيّة والاجتماعيّة، ومن أبرز محاور اهتمامه المشكلات الاجتماعيّة والقضايا السياسيّة، وعلاقات السلطة والهيمنة في الخطاب مستفيدا من مفهوم فوكو (Foucault) للخطاب والسلطة ومنظور غرامشي للهيمنة، فضلا عن ذلك يؤكّد إطاره التحليليّ لدراسة الأحداث التواصليّة، العلاقة الجدليّةَ بين الخطاب والمجتمع والثقافة، بالتركيز

على ثلاثة مستويات مترابطة من التحليل: النصّ، الممارسات الحافّة بعمليّتي إنتاجه واستهلاكه أو الممارسة الخطابيّة، والسياق الاجتماعيّ الأوسع أو الممارسة الاجتماعيّة. يقول فيركلف: «التحليل النقديّ للخطاب (C.D.A) للحدث التواصليّ هو تحليل العلاقات بين ثلاثة أبعاد هذا الحدث والتي أسمّيها: النص (Text) والممارسة الخطابيّة (discourse practice) والممارسة الاجتماعية – الثقافية (sociocultural practice)». (Fairclough, 1995, p. 57)

يعتبر ريشاردسون (Richardson) أنّ مقاربة فيركلف توفّر طريقة أكثر مرونة للقيام بالتحليل النقديّ (Richardson, 2007, p. 37). وذلك من مبرّرات اختيارنا لها منهجا لتحليل المدوّنة.

2.3. وصف المدوّنة

لدعم حضور الادّعاءات الأيديولوجيّة للعولمة في الخطاب الإعلاميّ لمؤسسة فرانس 24، اخترنا مدوّنة تتكوّن من مجموعة من التقارير الإخباريّة، وعناوين لحصص من برامج تلفزيونيّة، وارتأينا في البداية التعريف بالمؤسّسة وهي، استنادا إلى موقعها الرسميّ، قناة أُطلِقت في ديسمبر/كانون الأوّل 2006، وهي مؤسّسة إعلاميّة دوليّة تبثّ على مدار 24 ساعة، وتشمل أربع قنوات للأخبار الدولية بالعربية والفرنسية والإنكليزية والإسبانية (تبث على مدار الساعة ويصل بثها إلى 533 مليون منزل في القارات الخمس).

وتصرّح القناة بكونها تبث برامجها برؤية فرنسية لأحداث العالم معتمدة في ذلك على شبكة تتشكّل من 200 مكتب مراسلات تغطي الأحداث في معظم أنحاء العالم.

وهي فضاء إعلامي متوفر أيضا باللغات الأربع ويسجل شهريا 19.6 مليون زيارة و192.5 مليون مشاهدة لمقاطع الفيديو، إضافة إلى 65 مليون مشترك على صفحاتها على منصات «فيسبوك» و«إكس» و«إنستغرام» و«واتساب» و«يوتيوب». كما تعتبر نفسها أول قناة فرنسية إخبارية على فيسبوك ويوتيوب. ويقدم من منظورها صحافيو المجموعة وشبكة مراسليها حول العالم للمشاهدين والمستمعين ومستخدمي الإنترنت أخبارا منفتحة على العالم وعلى تنوع الثقافات والآراء عبر النشرات الإخبارية والتقارير والبرامج الثقافية والنقاشات. أمّا عن جمهور فرانس 24 وإذاعة مونت كارلو الدولية وإذاعة فرنسا الدولية فقد ورد على موقعها الإلكترونيّ أنّه يبلغ 255.5 مليون

متابع أسبوعيا. وتجمع وسائل الإعلام الثلاث للمجموعة 100 مليون مشترك على فيسبوك وإكس وتويتر وانستغرام واتساب ويوتيوب، بالإضافة إلى تسجيلها لأكثر من 3.7 مليار مشاهدة فيديو وتشغيل صوتي في 2023. وتعتبر مجموعة إعلام فرنسا العالمي الشركة الأم للوكالة الفرنسية للتعاون الإعلامي» (https://www.france24.com/ar/).

في ما يلي التقارير الإخباريّة المختارة من موقع فرانس 24 الإلكترونيّ، مرتّبة وفقا لتاريخ صدورها:

الجدول 1. التقارير الإخباريّة

التقرير	عنوانه	تاريخ صدوره
التقرير الأوّل	المنتدى الاجتماعيّ العالميّ يجمع مناهضي العولمة لأوّل مرّة في دولة عربيّة	2013.03.27
التقرير الثاني	دول البريكس حول العولمة والمناخ	2017.09.04
التقرير الثالث	ماكرون يشيد من تونس بالنهج الدّيمقراطي السلميّ للثورة التونسيّة	2018.02.01
التقرير الرابع	فرنسا: المدارس تكرّم «رمز الحريّة» صامويل باتي بعد عام على اغتياله في اعتداء إرهابيّ	2021.10.15
التقرير الخامس	قضايا العولمة والتغيير المناخي والحرب في أوكرانيا في صلب اهتمامات منتدى دافوس	2023.01.16
التقرير السادس	قمّة بروكسل الأوروبيّة ـ الخليجيّة، ولادة تحالف سياسيّ واقتصاديّ جديد	2024.10.17

التقرير	عنوانه	تاريخ صدوره
التقرير السابع	جورجيا: تجمّع جماهيريّ في تبليسي تأييدا للانضمام للاتّحاد الأوروبيّ قبيل انتخابات مصيريّة	2024.10.21
التقرير الثامن	ماكرون يستقبل الرئيس النيجيري في باريس لتعزيز التعاون الاقتصادي بين البلدين	2024.11.28
التقرير التاسع	ماكرون عن محاربة الإرهاب بالساحل الأفريقيّ: نسوا أن يشكرونا، لكن لا بأس سيأتي ذلك في الوقت المناسب	2025.01.06

اخترنا إضافة إلى التقارير بعض برامج القناة مصحوبة بالنصوص الّتي تقدّم لها على الموقع الإلكترونيّ، وهي:

- **في فلك الممنوع** (في فلك الممنوع.. محاولة للتفكير خارج السرب وتقبل الاختلاف على منبر مفتوح من باريس، عاصمة الحريات. كل يوم خميس في الساعة 16:10 بتوقيت باريس).
- **أسرار باريس** (باريس... تعرفون برجها وجادتها ومتاحفها، لكن لمدينة الأنوار أيضا أسرارها.. فأي كنوز تخفيها «أجمل مدن العالم»؟ فرانس24 تصطحبكم في أرجاء العاصمة الفرنسية لاكتشاف أماكنها الغامضة والفريدة).
- **محاور** (برنامج محاور يطرح قضايا فكرية وأسئلة ترتبط بالتغييرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، مفكرون وباحثون من العالم العربي وخارجه يقدمون رؤية لمواضيع تتحول إلى تحديات سياسية ومجتمعية، وتساهم في رسم المستقبل. السبت 19:40).
- **نبض أوروبا** (العالم ينبض بالأحداث، وأوروبا في مركز العالم تنبض بأحداث تعكس اتّحاد دولها واختلافاتها وتفاعل القارّة مع باقي القارات، نجس نبض الحدث الأوروبي كل يوم سبت الساعة 21:15 بتوقيت باريس في فقرة نبض

أوروبا).

- **نبض فرنسا** (العالم ينبض بالأحداث وفرنسا تنبض بأخبار مواطنيها ومدنها وسياسييها. نجس نبض الحدث الفرنسي سياسيا واجتماعيا كل يوم أحد عند الساعة 21:15 بتوقيت باريس).
- **هنا فرنسا** («هنا فرنسا».. برنامج يُعنى بالشؤون الفرنسية إن كانت اجتماعية أو سياسية يبث يوم الخميس الساعة 17:40 بتوقيت باريس).
- **مراسلون** (يتنقل مراسلو فرانس 24 في مختلف أنحاء العالم ليرصدوا مواضيع ساخنة على الساحة الدولية، ويقدموا لكم رؤية أوضح عما يجري في العالم. السبت الساعة 19.10 بتوقيت باريس).

ورأينا أيضا أن نذكر بعض عناوين لحصص برامج معيّنة هي: «في فلك الممنوع»، «محاور»، «مراسلون» مرتّبة وفقا لتاريخ بثّها، لتوظيف ذلك أثناء التحليل.

الجدول 2. عناوين حصص بعض البرامج التلفزيونيّة

عناوين حصص برنامج «في فلك الممنوع»	تاريخ بثّها
غيّرت ديني فحُرمت من العيش في بلدي	2015.11.13
لماذا لم أعد إسلاميّا؟	2015.12.04
ميراث المرأة في العالم العربيّ	2017.09.26
الصيام ـ رمضان: هل الجوع دائما كافر؟ موضوع الصيام والحريّات الفرديّة، فهل تحوّل الصيام إلى ديكتاتوريّة في بعض المجتمعات	2022.05.03
«غفور رحيم» للمسلمين فقط	2022.05.20
الأديان السماويّة نقمة على النساء	2023.05.18
سوق الحلال: تجارة باسم الدين؟	2024.01.18

عناوين حصص برنامج «محاور»	
محاور مع محمّد شحرور: هل إصلاح الخطاب الإسلاميّ ممكن؟	2017.06.05
عبد الغنيّ عماد: الديمقراطيّة هي المخرج الوحيد من «المأزق الهوياتيّ»	2020.05.23
أماني فؤاد: «الصحوة الثقافيّة» تتطلّب «قطيعة» مع بعض نصوص التراث	2020.10.31
خالد منتصر: الدّيمقراطيّة من دون علمانيّة خدعة	2021.09.11
عبد المجيد الشرفي: ماهي «البداهات الزائفة» في الفكر الإسلاميّ؟	2022.05.21
زكريّا أوزون: هل يمكن تجديد الخطاب الدّيني؟	2022.10.09
عزيز عظمة: ماهي عوائق التقدّم؟ وما واقع العلمانيّة في العالم العربيّ؟	2024.11.16
هشام العلوي: أيّ ديمقراطيّة في المجتمعات الإسلاميّة؟	2024.11.28
عناوين حصص برنامج «مراسلون»	
مسيحيّو العراق : هروب من جحيم المجازر	2010.12.03
مسيحيّون في محيط إسلاميّ	2012.12.21
التحرّش الجنسيّ، داء مصر	2013.06.14

قطر: جحيم العمّال النيباليّين	2014.03.29
إيران.. الحريّة المكبّلة	2015.01.27
اضطهاد المسيحيّين في الهند	2015.07.18
مسيحيّو مصر: التهديد الإرهابيّ والعيش المشترك	2017.12.23
كندا: حلم المهاجر الأفريقيّ	2018.04.14
تركيا: مطاردة المعارضين	2018.06.23
إفريقيا الوسطى: الاحتكام إلى السلاح	2018.07.14
العراق في مواجهة المخدّرات	2019.05.26
كينيا: الطريق الجديد للمخدّرات	2019.10.19
مسيحيّو سوريا في خطر	2020.02.07
بوركينافاسو.. محنة الإرهاب	2020.04.25
المهاجرون الأفارقة والحلم الأمريكيّ	2023.04.28
بابوا غينيا الجديدة: كوارث وصراعات	2024.06.21
هونغ كونغ.. القمع باسم النظام والقانون	2025.02.08
باكستان، الطفولة المحطّمة.. تحقيق عن اعتداءات جنسيّة في المدارس الدينيّة	2025.06.06

4. تطبيق المقاربة الجدليّة العلائقيّة عند فيركلف على المدوّنة

نُعنى في عملنا الإجرائيّ بالتحليل النصّي، وتحديدا السمات النصيّة الدالة على التوجّه الأيديولوجيّ للمؤسسة الإعلاميّة مثل المعجم وبنية العناوين والاستراتيجيّات الخطابيّة الموظّفة في خطابها، ثم نتوقّف عند الممارسة الخطابيّة للمؤسسّة، ونركّز اهتمامنا على الممارسات التنظيميّة وتحديدا القيم الإخباريّة في إنتاج المادّة الإعلاميّة، ثمّ العمليّات المؤسّساتيّة (institutional processes) والتّناص، لننتهي إلى مرحلة التفسير والتأويل الّتي تمثّل البعد الثالث من التحليل النقديّ عند فيركلف .

1.4 التحليل النصّي واستراتيجيّات الخطاب

1.1.4. الشرعنة من خلال العقلنة والتقييم الأخلاقيّ

- **العقلنة (Rationalization)**

العقلنة كما يعرّفها فيركلف هو «الشرعنة بالعودة إلى الجدوى من العمل المؤسّساتيّ، وإلى المعارف الّتي صاغها المجتمع لمنحها صلاحيّة معرفيّة» (Fairclough, 2003, p. 98).

فالعقلنة نوع من تبرير الأفعال لنيل الاستحقاق والسماح بها، وهو شكل من أشكال تقديم الأسباب لشرعنة التدخّل في شؤون الآخر، مثلا غالبا ما تُصوّر فرنسا وأوروبا في خطاب المؤسّسة نافعة اقتصاديّا لدول الجنوب، مع أنّ الكثير مما توعد به هذه الدول لا يتحقق، نتبيّن ذلك من خلال:

– المعجم في بعض التقارير الإخباريّة

المعجم الموظف في التقارير الإخباريّة هو معجم استفادَةٍ ومنفعة من الانفتاح على أوروبا وفرنسا تحديدا. ومثال ذلك ما يعترضنا في التقرير الإخباريّ التاسع عن زيارة الرئيس النيجيري إلى فرنسا: «تمثّل الزيارة بالنسبة إلى نيجيريا فرصة لبحث آفاق الاستثمار».

وفي التقرير الثالث عن زيارة ماكرون إلى تونس: «ودعا ماكرون الشركات الفرنسيّة إلى العودة إلى الاستثمار في تونس بهدف مضاعفة استثماراتها في هذا البلد بحلول 2022 ومساعدته على النهوض باقتصاده»، «وكان ماكرون قد أعلن الأربعاء عن خطّة «عاجلة» بقيمة 50 مليون يورو على ثلاث سنوات لصالح روّاد المشاريع الشباب».

وفي التقرير الثامن حول جورجيا تستعمل كلمة «طموح» للتأكيد عن رغبتها في الانضمام إلى الاتّحاد الأوروبيّ: «يخشى الزعماء الأوروبيون أن تبتعد جورجيا عن طموحها في الانضمام إلى الاتّحاد الأوروبيّ».

المعجم المستعمل («فرصة»، «آفاق»، «استثمارات»، «مساعدة»، «النهوض»، «صالح»، «طموح») في إبراز علاقة دول الجنوب بأوروبا وفرنسا هو معجم يدعم فكرة أنّ تحقيق الازدهار هو رهين الانضمام إلى النظام السياسيّ والاقتصاديّ المهيمن في العالم، فالعولمة من هذا المنظور هي طريق إلى التقدّم الاقتصاديّ. وهذا شكل من أشكال العقلنة لشرعنة هيمنة العالميّ على المحليّ يؤكّد الادّعاء الرابع لخطاب العولمة الأيديولوجيّ، من منظور ستيكر.

وإذا كانت تصوّر الأنظمة الغربيّة باعتبارها الأفضل، فمن البديهيّ الإمعان في إبراز الصورة السلبيّة للآخر المختلف الذي لا بدّ أن يرتمي في أحضان النظام المُعَوْلَم لتحقيق خلاصه. وهذا موضوع البنية في عناوين التقارير في برنامج «مراسلون».

– البنية الموضوعاتيّة للعناوين في تقارير برنامج «مراسلون»

عنوان التقرير الإخباريّ مثلما يقول فيركلف هو «الذي يصوغ الموضوع العام للنصّ» (Fairclough, 1995, p. 29). إذ من خلاله يمكننا معرفة موضوع التقرير عموما، بل هو الأكثر رسوخا في الذاكرة من أجزاء التقرير الأخرى، وبناءً على ذلك يحظى العنوان باهتمام كبير. وهو الدافع للوقوف عند بعض عناوين تقارير مدوّنة البحث في برنامج «مراسلون».

صيغت العناوين ببنية موضوعاتيّة موحّدة، ويقصد هاليداي (Halliday) بالبنية الموضوعاتيّة: تنظيم العبارة من حيث موضوعها الأساسيّ وما يليه من معلومات عنه، أي المخبَر عنه الذي يحتلّ محلَّ الصّدارة فيها، والذي يمثّل نقطة البداية بالنّسبة إلى المُتكلّم ثمَّ بدرجة أقل المُخبر به أي ما نقوله عن الموضوع، يقول هاليداي: «في كلّ حالة يكون العنصر الذي يظهر في الموضع الأوّل هو الموضوع الطبيعيّ للجملة» (Halliday, 1976, p. 212).

بالعودة إلى بنية بعض عناوين التقارير نلاحظ تصديرا لاسم الدولة، ثمّ ما يخبر به عنها، وغالبا إذا كانت الدولة من دول الجنوب، خاصّة الإسلاميّة أو المختلفة أيديولوجيّا عن الأنظمة الغربيّة، كان المخبر به مظهرا من مظاهر الفوضى أو التخلّف

الحضاريّ، وكأنّه تعريف لها، مثلا يتصدّر العنوانَ اسمُ الدولة (قطر، إيران، تركيا، إفريقيا الوسطى، كينيا، بوركينافاسو، بابوا غينيا الجديدة، البرازيل،...) ثمّ نقطتان، يليهما مركّب محتواه الدلاليّ سلبيّ مثال ذلك :

- قطر: جحيم العمّال النيباليّين
- إيران.. الحريّة المكبّلة
- تركيا: مطاردة المعارضين
- إفريقيا الوسطى: الاحتكام إلى السلاح
- كينيا: الطريق الجديد للمخدّرات
- بوركينافاسو.. محنة الإرهاب
- بابوا غينيا الجديدة: كوارث وصراعات
- هونغ كونغ.. القمع باسم النظام والقانون
- البرازيل: جحيم عاملات المنازل

ما نستنتجه أنّ البرنامج يوجّه اهتمامه في حديثه عن هذه الدول إلى مواضيع تتّصل إمّا بأعمال العنف أو بالأحداث الأمنيّة أو بانتهاك الحريّات، في حين تغيب المواضيع الاقتصاديّة أو تلك التي تبحث في أصل الداء. إذ ليس من أولويّات القناة الحديث عن معاناة بعض هذه الدول الّتي تعود أساسا لهيمنة القوى العظمى اقتصاديّا، أو مهاجمة نظام عالميّ اقتصاديّ وسياسيّ أسهم في اتّساع الهوّة أكثر فأكثر بين الدول الغنيّة والدول الفقيرة.

- **التقييم الأخلاقيّ (moral evaluation)**

تتمّ الشرعنة في هذا المستوى بالاستناد إلى منظومة القيم والتقييم، إذ نلاحظ في هذه المدوّنة المقتبسة من المنتجات الإعلاميّة لمؤسّسة فرانس24 تقديم الذات (فرنسا، أوروبا) باعتبارها مصدرا للعقلانيّة والقيم الجيدة على خلاف الآخر المختلف أيديولوجيّا وثقافيّا ويتجلّى ذلك خاصّة من خلال المعجم.

– القيم والتقييم من خلال المعجم

تشكّل المنظومات القيميّة الدوافع لاتّخاذ إجراءات معيّنة، ومن ثمّ تأمين الولاء لنموذج عالميّ معيّن، وهو ما يظهر في الخطاب الإعلاميّ الممجّد للعولمة، حيث يُقيّم كلّ ما ينتمي إلى النظام الليبراليّ الغربيّ تقييما حسنا، في حين يبدو المحليّ

سلبيّا في معظم الأحيان، وهذا ما لمسناه في مدوّنة البحث. مثلا في هذا المقتطف من التقرير الإخباريّ الرابع: وللنقاش مع التلاميذ حول حريّة التعبير والعلمانيّة، وقيم الجمهوريّة ودور المدرسة، «المدارس تكرّم رمز الحريّة»، «رمزا لحريّة التعبير في مواجهة الظلاميّة».

نتبيّن ارتباطا وثيقا بين للقيم الليبراليّة والقيم الانسانيّة: «الحريّة»، و«حريّة التعبير»، و«العلمانيّة»، و«قيم الجمهوريّة»، في المقابل تأكيد نعت المخالف بما هو مغرق في السلبيّة: «الظلاميّة» في إحالة إلى الدين الإسلاميّ باعتبار أنّ الأستاذ الذي قُتل وتعتبره المدارس في فرنسا رمزا للحريّة متّهم بالاعتداء على الإسلام ورموزه المقدّسة، فضلا عن أنّ المتهمّ بقتله شاب شيشانيّ مسلم.[1]

يدعم التقييم السلبيّ للآخر المختلف، ما جاء في التقرير الثامن عن جورجيا: «لدينا شبه استفتاء حول الاختيار بين أوروبا أو العودة إلى ماض روسيّ غامض». فكلمة «غامض» هي تقييم سلبيّ للنموذج الروسيّ، أو «عدم رضا الشباب» والمعنيّ هنا بعدم الرضا هو الحاكم الموالي لروسيا، أو وصف القانون المعارض لهيمنة الغرب بـ«المثير للجدل».

بناءً على ذلك نخلص إلى القول بأنّ اعتبار القيم الفرنسيّة الغربيّة الليبراليّة قيما انسانيّة، فيه إقرار ضمنيّ بضرورة تعميمها في العالم، والتقييم الإيجابيّ للنموذج الغربيّ خلافا للنماذج الثقافيّة الأخرى يضمر تسليما بأنّ العولمة قوّة «خيّرة» مرغوب فيها، وهو ما سندعمه من خلال ظاهرة التّناص في مستوى الممارسة الخطابيّة.

2.1.4. الشرعنة من خلال التمثيل وسوء التمثيل

يُعتبر التمثيل (representation) وسوء التمثيل (misrepresentation) من أبرز الوظائف الاستراتيجيّة وهما مرتبطان بشكل أو بآخر بإضفاء الشرعيّة أو بنزعها، وقد تصل هذه الوظيفة الاستراتيجيّة إلى التضليل والتشويه، فهي شكل من أشكال التحكّم في الخطاب، وتتجسّد داخله من خلال ظواهر متنوّعة مثل الاحتواء، والتجريد، والتعميم، والمدح، والتلطيف في العبارة، أو الاستبعاد والإنكار، والتشويه،

(1) في 16 أكتوبر 2020، في مدينة كونفلان سانت أونورين، أقدم شاب شيشاني على قتل معلم التاريخ والجغرافيا والتربية المدنية صامويل باتي، والذي كان قد عرض على تلامذته صورًا كاريكاتورية للنبي محمد.

والكذب...، فالتمثيل هو الطريقة الّتي تقدّم بها الأحداث والأشخاص، أو المجموعات أي الفاعلين الاجتماعيّين، كما يشمل الأفكار والزمان والمكان. ولا يوجد من منظور التحليل النقديّ للخطاب تمثيل محايد، فما يُقدّم عبر وسيط يتجاوز مسألة الصدق والإنصاف في التمثيل.

- **تمثيل السيرورات أو الأحداث**

يعتبر فيركلف أنّ تناول النصوص من منظور تمثيليّ يتمّ «انطلاقا من معالجة عناصر الأحداث المضمّنة في عمليّة التمثيل والعناصر الّتي اُستبعدت منها، ثمّ النظر داخل العناصر الممثّلة في تلك الّتي حظيت بتبئير أكبر» (Fairclough, 2003, p. 136).

بالعودة إلى تمثيل بعض الأحداث داخل خطاب المؤسسة الإعلاميّة المعنيّة بهذا البحث، نتبيّن تركيزا على كلّ ما ينسجم مع توجّهها الأيديولوجي مقابل استبعاد ما لا ما يتوافق معه، مثلا في التقرير عن جورجيا يُمثّل حدث تظاهر الجورجيين المؤيّدين لانضمام دولتهم إلى الاتّحاد الأوروبي بأسلوب لا يخلو من مبالغة في تأكيد رغبتهم تلك، مثلا جاء في التقرير: «احتشد عشرات الآلاف في تبليسي دعما للانضمام للاتحاد الأوروبي قبيل الانتخابات البرلمانية، التي تعد اختبارا حاسما للديمقراطية في جورجيا»، «واحتشد المتظاهرون في شوارع بوسط العاصمة الجورجية، وحمل بعضهم أعلام بلادهم والاتحاد الأوروبي، في حين رفع آخرون لافتات كتب عليها «جورجيا تختار الاتحاد الأوروبي»، «ودعت منظمات غير حكومية عدة إلى المسيرة بهدف «إظهار التصميم على مواصلة الطريق نحو الانضمام» إلى الاتحاد الأوروبي».

يبدو من خلال المعجم المختار في وصف التظاهرة تركيزا إعلاميّا عليها، وليس هذا غريبا عن إعلام دوليّ مُعولَم وهو يثبت رغبة دول الجنوب في الانضمام إلى المعسكر الغربيّ الليبراليّ. فهذا الحدث يخدم أيديولوجيا المؤسسة الإعلاميّة، فلا غرابة أن يقع تضخيمه. خاصّة وأنّ هناك ربطا جليّا بين الديمقراطيّة والانضمام إلى أوروبا وهذا ما يدعم الادّعاء الأيديولوجي الخامس الذي يرى أنّ انتشار العولمة الغربيّة يعزّز انتشار الديمقراطيّة.

في المقابل لا يحظى الحدث بتمثيل جليّ إذا كان لا يخدم الخطاب الممجّد أيديولوجيا للعولمة، بل يقع تهميشه في التقرير والتركيز على أحداث ثانويّة في علاقتها بالحدث الرئيسيّ، وليس أدلّ على ذلك ممّا جاء في التقرير الأوّل حول

المنتدى الاجتماعيّ العالميّ الذي يجمع مناهضي العولمة المنعقد في تونس، إذ لا يتحدّث التقرير عن مناهضة العولمة، إنّما يقوم على نقد سياسة حركة النهضة ذات المرجعيّة الاسلاميّة المحليّة أكثر من سيرورة مناهضة العولمة. فالتقرير يتجاهل تقريبا الحدث المركزيّ في العنوان وهو منتدى يجمع مناهضي العولمة، ويركّز اهتمامه على وضع المرأة في حكم النهضة، والحريّات والقيم الحداثيّة.

- **تمثيل المكان والفاعلين الاجتماعيّين**

في البدء نقف عند تمثيل المكان وتحديدا الدول الإسلاميّة، والدول المناهضة للعولمة الإمبريالية عموما، يقول فيركلف: «إنّ تمثيل الأماكن ـ الأزمنة لا يمكن أن يقتصر على تمثيل الزمان والمكان، وأنّ العلاقات المكانيّة الزمانيّة متّصلة بعلاقات وهويّات اجتماعيّة محدّدة» (Fairclough, 2003, p. 152).

نفهم ممّا سبق أنّ طريقة تمثيل الأماكن شديدة الاتّصال بالعلاقات والهويّات الاجتماعيّة، مثلا في برنامج محاور غالبا ما ارتبط المكان في العنوان بمعجم الفوضى والعنف كما أشرنا إلى ذلك في بنية العناوين، وارتبطت أيضا معاناة الأقليّة المسيحيّة بالدول الإسلاميّة، بالإضافة إلى ذلك ما جاء في بعض تقارير المدوّنة، مثلا تصوير الدول الإفريقيّة مكان نزاعات وانقلابات عسكريّة وفقر دون التلميح إلى هيمنة فرنسا خصوصا عليها: في التقرير العاشر «وانسحبت القوات الفرنسيّة في السنوات القليلة الماضية من مالي والنيجر وبوركينافاسو بعد انقلابات عسكريّة متتالية». وفي التقرير الذي يتناول زيارة الرئيس النيجيري: «وتعد الدولة الواقعة في غرب أفريقيا أهم منتج للنفط في القارة. لكن التحديات الناجمة عن انعدام الأمن والفساد تركت 129 مليون نيجيري، أي ما يعادل أكثر من نصف السكان، يعيشون تحت خط الفقر».

استنادا إلى ما سبق نتبيّن أنّ المنتجات الإعلاميّة تمثّل دول الجنوب على أنّها مرتع للفوضى والإرهاب، ومصدر ثروات في الآن نفسه، ما يعطي الشرعيّة للتدخّل فيها : « نسيت شكر فرنسا على انخراطها إلى جانبها في الحرب ضدّ الإرهاب». «فرنسا ـ الدول المغاربيّة: ما شكل وشروط التعاون الثنائيّ في مكافحة الإرهاب؟»

هناك دائما ربط وثيق بين الأوضاع في المنطقة وتدخّل فرنسا سواء كان تدخّلا عسكريّا أو اقتصاديّا، وهو ما يدعم أيديولوجيا العولمة الّتي ترى في التدخلّ في

دول الجنوب أمرا ضروريّا من أجل المصلحة العامّة، فالعولمة كما جاء في الادّعاء السادس تتطلّب حربا على الإرهاب.

على خلاف الصورة المروّجة للدول الإسلاميّة والإفريقيّة تُمثّل دول الشمال المهيمنة والداعمة لخطاب العولمة تمثيلا إيجابيّا، مثال ذلك عنوان لحصّة في برنامج «مراسلون»: «كندا: حلم المهاجر الأفريقيّ»، أو تصوير أوروبا الملاذ بالنسبة إلى الجورجيّين، أو الولايات المتحدّة حلم الأفارقة: «المهاجرون الأفارقة والحلم الأمريكيّ».

مثلما يوجد تباين في تمثيل الأحداث، والمكان يختلف تمثيل الفاعلين الاجتماعيّين داخل الخطاب، وليس كلّ المشاركين في الحدث فاعلين اجتماعيّين، فقد نجد من المشاركين «موجودات محسوسة»، من منظور فيركلف الّذي يقدّم خيارات متنوّعة في تمثيل الفاعلين الاجتماعيّين (Fairclough, 2003, p. 145–146).

في التقرير العاشر قدّم محرّر النص «الجيش الفرنسيّ» باعتباره فاعلا إيجابيّا، في حين تمّ طمس المفعول بهم من سكّان المنطقة وموقفهم من وجود الجيش الفرنسيّ في بلادهم، وهو ما يعترضنا في هذا القول لماكرون: «ما كان لأيّ منها أن تصبح دولة ذات سيادة لولا نشر الجيش الفرنسي في هذه المنطقة». يربط القول بين سيادة الدول الأفريقيّة ونشر الجيش الفرنسيّ فيها، إذ مثّل الجيش الفرنسيّ باعتباره الضامن لسيادة المنطقة الأفريقيّة، وفي ذلك مفارقة كبرى فهذا التمثيل لفرنسا لا يعترف به أهل المنطقة، بل يرون في انتشار الجيش الفرنسيّ دليلا على السيطرة والهيمنة الفرنسيّة لا على السيادة والحريّة، يدعم ذلك رفضهم الوجود الفرنسيّ على أراضيهم. وفي موضع آخر من التقرير يعتبر «فرنسا على حقّ عند التدخّل عام 2013 لمحاربة المتشدّدين الإسلاميّين». في حين يقع تمثيل الآخر المختلف تمثيلا يحمل موقفا سلبيّا: «المتشدّدين الإسلاميّين».

في موضع آخر من التقرير الرابع مُثّل الأستاذ الفرنسيّ «صامويل باتي» «رمزا للحريّة» كما ورد في العنوان، بل «بطلا»، رغم أنّه لم يقم بعمل بطوليّ سوى الاعتداء على الرموز الإسلاميّة المقدّسة، وما جاء في متن التقرير يؤكّد ذلك:

« وستقام مراسم تكريمية لذكرى الرجل الذي وصفه الرئيس ايمانويل ماكرون بـ»البطل الهادئ» للجمهورية الفرنسية. كما سيستقبل ماكرون عائلة باتي في

الإليزيه، وستسمى ساحة باريسية باسمه وسيدشن نصب تذكاري على شكل كتاب في مدينة كونفلان».

لا تكتفي القناة أو المؤسّسة الإعلاميّة عموما بحسن تمثيلها لكلّ ما يمتّ للقيم الليبراليّة والعولمة بصلة، بل تسيئ تمثيل كلّ ما في علاقة بالمحليّة خاصة الدين من خلال الإغفال والإنكار والتشويه.

- **سوء التمثيل من خلال الإغفال**

يقول ماشين (Machin) وماير (Mayr) في سياق الحديث عن اشتغال اللغة أيديولوجيّا في تمثيل الأشخاص: «في أيّ لغة لا توجد طريقة محايدة لتمثيل شخص ما، ستعمل جميع الاختيارات على لفت الانتباه إلى جوانب معيّنة من الهويّة الّتي سترتبط بأنواع معيّنة من الخطابات» (Machin & Mayr, 2012, p. 77).

لاحظ الباحثان كيف يمكن تمثيل المسلمين في بعض وسائل الإعلام الإخباريّة الغربيّة بطرق سلبيّة إلى حدّ كبير: «إنّ التمثيل السلبيّ للآخرين قد يتجسّد في أفعال إلقاء اللوم أو التهميش أو الإقصاء أو مهاجمة الطابع الأخلاقيّ أو العقلانيّ لبعض الأفراد.» (Machin & Mayr, 2012, p. 77).

في برنامج «مراسلون» يلفت انتباهنا التركيز على الأقلّيات المسيحيّة في الدول الإسلاميّة، إذ تتناول أكثر من حصّة وضع المسيحيّين في هذه الدول:

- مسيحيّو العراق : هروب من جحيم المجازر (2010.12.03)
- مسيحيّون في محيط إسلاميّ (2012.12.21)
- اضطهاد المسيحيّين في الهند (2015.07.18)
- مسيحيّو مصر: التهديد الإرهابيّ والعيش المشترك (2017.12.23)
- مسيحيّو سوريا في خطر (2020.02.07)

تُمثّل الأقليّة المسيحيّة في دول إسلاميّة، من منظور مؤسّسة فرانس 24، دائما ضحيّة للعنف والإرهاب، ويتجلّى ذلك من خلال المعجم المستعمل في العناوين: «جحيم المجازر»، «اضطهاد»، «التهديد الإرهابيّ»، «خطر»، وهو تمثيل يضمر تشويها للمسلمين، إذ يصوّرهم «وحوشا». في المقابل لا نجد حصّة واحدة من البرنامج تتحدّث عن الأقليّة المسلمة في بعض الدول مع أنّها تتعرّض للاضطهاد، مثال ذلك مسلمو بورما الذين يشكّلون أقلّية دينيّة تعتبر من أكثر المجموعات اضطهادًا في

العالم وفقًا لبعض المنظمات، لما تعيشه هذه المجموعة من عنف منهجي، بما في ذلك عمليات التهجير القسري والتجريد من حقوقهم الأساسيّة.

نستنتج أنّ القناة وإن اهتمت بالحديث عن الأقليّات فهي تعمد إلى إغفال الحديث عن كلّ ما يمكن أن يصوّر المسلمين كأقليّة في مكان ما ضحيّةً للعنف، وتمعن في تصويرهم إرهابيين ومضطهدين، ويتغيّر الأمر عندما يتعلّق الأمر بالمسيحيّين. فسوء التمثيل هنا يتجسّد خاصّة في إغفال تناول قضايا معيّنة، لكن قد يكون أيضا سوء التمثيل من خلال إنكار أحداث معيّنة لأنّها لا تخدم خطاب المؤسّسة الإعلاميّة.

- **سوء التمثيل من خلال الإنكار**

إنّ الإنكار مظهر آخر من مظاهر سوء التمثيل، فهو طمس لمراجع غير مرغوب فيها سواء كانت أشياءً أو أفعالا، وإنكار الاستعمار باعتباره من أسباب تخلّف الدول الأفريقيّة وتأكيد الفساد والإرهاب، هو صرف لنظر المتقبّل عن مسؤوليّة القوى العظمى في ما تعيشه بعض الدول الأفريقيّة من واقع متأزّم على جميع المستويات، لأنّ خطاب المؤسّسة الإعلاميّة المعولمة ليس من مصلحتها الإقرار بذلك، فهي ترى أنّ سبب تخلّف كثير من الدول النامية يعود إلى مؤسّساتها التقليديّة القائمة على القيم الغيبيّة اللاعقلانيّة التي تدفع بالمجتمعات إلى العنف.

في المقابل تثبت ما يخدم سيرورة العولمة، فهي تدور حول تحرير الأسواق وتكاملها العالميّ وهو الادّعاء الأوّل بحسب ستيكر، مثل اعتبار نيجيريا سوقا لا دولة ذات سيادة في التقرير التاسع «ماكرون يستقبل الرئيس النيجيري في باريس لتعزيز التعاون الاقتصادي بين البلدين»: مثال ذلك «وتمثّل نيجيريا الّتي تعدّ 220 مليون نسمة على الأقل سوقا واعدا رغم التحدّيات الّتي يمثّلها انعدام الأمن والفساد».

إنّ أقصى درجات سوء التمثيل التشويهُ، تشويه المختلف الذي يقوم أساسا على كلّ ما هو محليّ، خاصّة القيم الدينيّة. والهدف من ذلك نزع الشرعيّة عنه وفتح الباب أمام العالميّ الّذي يعزّز العولمة في دول الجنوب.

- **سوء التمثيل من خلال التشويه**

إنّ الإعلام أحيانا يفعل ما لا تفعله السياسة في سوء التمثيل بتشويه ما هو محليّ، خاصّة إذا كان في علاقة بالدين باعتبار أنّ العولمة الثقافيّة تفرض القيم الليبراليّة الغربيّة وليس القيم المحليّة ذات المرجعيّة الدينيّة أساسا.

أهمّ مثال في المدوّنة على تشويه المحلّي، خاصّة الدين، فضلا عمّا سبقت الإحالة إليه في التقارير وبرنامج «مراسلون»، هو برنامج «في فلك الممنوع» الّذي يركّز اهتمامه على أسس الدين الإسلاميّ وقيمه.

يمعن هذا البرنامج في تشويه الدين الإسلاميّ وقيمه من خلال تعزيز التمثيل السلبيّ له، فالبرنامج وإن سُميّ «في فلك الممنوع»، فمادّته الأساسيّة تقريبا هي الحديث عن الإسلام ودليلنا على ذلك كميّ في مستوى أوّل، إذ هو موضوع معظم الحصص. وكيفيّ في مستوى ثان من خلال طريقة تناوله، فإذا تأملنا عناوين الحصص لاحظنا أنّ جميعها تنتقد الدين الإسلاميّ، بل تصل إلى حدّ التشويه، مثلا المعجم الموظّف في عنوان الحصّة التي تتحدّث عن ركن من الأركان الأساسيّة للإسلام هو «الصيام»: «الصيام ـ رمضان: هل الجوع دائما كافر؟ موضوع الصيام والحريّات الفرديّة، فهل تحوّل الصيام إلى ديكتاتوريّة في بعض المجتمعات». أُعتُبر الصيام «ديكتاتوريّةً»، وهذا مصطلح سلبيّ ينتمي إلى معجم الظلم والاستبداد، بل عائقا أمام تحقق «الحريّات الفرديّة»، وهي عبارة أساسيّة تنتمي إلى معجم الديمقراطيّة، وجزء لا يتجزّأ من الخطاب الممجّد للعولمة. إذ غالبا ما يُسوّق للعولمة باعتبارها السبيل الوحيد للتمتّع بالحريّات والديمقراطيّة، وهو ما أشرنا إليه سابقا في ادّعاءات العولمة بحسب ستيكر. إضافة إلى ذلك يسعى البرنامج إلى التخلّي عن التديّن في إطار مشروع العولمة والعناوين التالية تؤكّد ذلك: «الأديان السماويّة نقمة على النساء»، «غفور رحيم» للمسلمين فقط»، «سوق الحلال: تجارة باسم الدين؟»، إذ ترى الأديانَ نقمةً على النساء، وتعتبر «الحلال» «سوقا»، و«الإسلام دينا عنصريّا» يتنافى مع العالميّة....

إنّ استراتيجيّات الخطاب من عقلنة أو تسويغ وتقييم وتمثيل وسوء تمثيل تؤكّد توجّه المؤسسة الإعلاميّة نحو تمجيد كلّ ما هو مُعولم أو معزّز لتطبيق العولمة وشرعنتها، مع إنكار وتشويه ما يخالف ذلك أو ما له صلة بكلّ ما هو محليّ لنزع الشرعيّة عنه، وهذا التوظيف الأيديولوجيّ للغة سندعمه بالممارسة الخطابيّة المؤسساتيّة، ونركّز اهتمامنا تحديدا على القيم الإخباريّة والإجراءات التحريريّة.

2.4. الممارسة الخطابيّة

نهتمّ في هذا المستوى بالعمليّات المؤسّساتيّة وتحديدا بالقيم الإخباريّة والممارسات التنظيميّة المتّصلة باختيار موضوعات البرامج في القناة، ثم نركّز

اهتمامنا على ظاهرة التناص، ونقصد على وجه الخصوص الأصوات الحاضرة من خلال خطاباتها المضمّنة في خطاب المؤسسة ككل.

1.2.4. العمليّات المؤسساتيّة

- **القيم الإخباريّة (News values)**

القيم الإخباريّة هي المعايير الّتي تعتمدها المؤسّسة الإعلاميّة والمنتمون إليها من أجل تقييم جدارة حدث ما بأن يصبح خبرا، فهي التي تصنّف المادّة الإعلاميّة إمّا إلى خبر أو مجرّد حدث. وممّا يؤثّر في هذه المعايير نوع الجمهور المستهدف، إذ لا بدّ أن يكون الخبر جذّابا بالنسبة إليه، كما أن من أبرز معايير التقييم، فضلا عن معايير أخرى، خدمة الحدث لأيديولوجيا المؤسسة، ومن ثمّ خدمة القوى المهيمنة التي تمثّلها. ومعنى ذلك اختيار الأحداث لتصبح أخباراً إذا كانت تُرضي النخب المهيمنة والمبادئ التي تقوم عليها فكرة العولمة باعتبار أنّ الإعلام الدوليّ مثل فرانس 24 هو إعلام يروّج لها.

بالعودة إلى القناة لاحظنا مثلا تركيزها على ذكرى اغتيال مدرّس التاريخ لعرضه رسوما مسيئة للنبي محمد من خلال التقارير والاستضافات وفي نشرة الأخبار...، من أجل تأكيد أولويّة القيم الليبراليّة على حساب احترام المقدّسات. فقد حظي هذا الحدث باهتمام كبير يوم 15 أكتوبر 2021، بل تحوّل إلى خبر أساسيّ بالرغم من وجود أحداث دوليّة أخرى أكثر تأثيرا في العالم، مثل الحروب الدائرة في الشرق الأوسط، لكنّها لم تحظ بتغطية في ذلك اليوم.

تتحوّل الأحداث المعزولة إلى أخبار إذا تعلّقت بالحريّات الفرديّة وبحقوق الانسان، خاصة القادمة من الدول النامية، لتأكيد الصورة السلبيّة فيها، ومن ثمّ شرعنة عولمتها، لأنّه من المنظور الغربيّ الحلّ يكمن في العولمة، «إيران تنفذ حكم الإعدام» (16– 03– 2024)، «فنزويلا تأمر موظفي مكتب حقوق الانسان بمغادرة البلاد» (05– 02– 2024)، «التعذيب في أذربيجان» (05– 02– 2024)، «الحكم غيابيّا بالسجن عشرة أعوام على الناشطة أميرة بوراوي في الجزائر» (07– 11– 2023)، «مصر: ضرب صيدلانيّة لعدم ارتدائها الحجاب» (15– 10– 2021).

- **الممارسات التنظيميّة**

يتحكّم المسؤولون عن القناة في برامجها وفي الموضوعات الّتي سيتمّ تناولها،

إذ من الممكن إعطاء أولويّة لمواضيع دون أخرى، فطبيعة الموضوع هي الّتي تحدّد نهج الخطاب الأيديولوجيّ، والهدف الذي يرمي إليه هذا الخطاب هو إثبات ما يرغب في إثباته، فبرامج القناة مثلا، تنحو نحو تقديم صورة مبهرة عن فرنسا وأوروبا في مقابل صورة مظلمة عن بلدان الجنوب عموما والإسلاميّة خصوصا. ومثالنا على ذلك برامج «أسرار باريس»، و«نبض فرنسا»، و«نبض أوروبا...» في المقابل برامج أخرى مثل «مراسلون» تنقل غالبا صورة مأساويّة عن مناطق في العالم لم تتجذّر فيها مظاهر العولمة.

2.2.4. التناص

التّناص مفهوم أساسيّ في التحليل النقدي للخطاب، اقترحه فيركلف من منطلق أنّ كلّ نصّ في علاقة وثيقة بآخر، ولا يمكن فهم النصوص بمعزل عن بعضها البعض، والتّناص أنواع: التّناص الخارجيّ وهو الذي نهتم فيه بالعلاقات الخارجيّة بين النصوص، أي النصوص التي نستحضرها من خارج النص ولكنّها لم تُضمّن حرفيّا فيه. أمّا التناص الداخليّ فهو الّذي ينظر في العلاقات الداخليّة بين النصوص، أي تلك الّتي توجد بين النصّ ونصوص أخرى داخله، كالاقتباسات الصريحة فيه، أو تلك التي وقعت إعادة صياغتها ونقلها بشكل غير مباشر (Fairclough, 2003, p. 39).

يعترضنا التناص الموظّف أيديولوجيّا في برنامج «محاور»، فهو غالبا ما يعتمد في صياغة عنوان الحصّة على مقول قول يُنسب إلى الضيف، حيث يُذكر اسمه وقول منسوب إليه، مثلا في التقارير التالية : «عبد الغنيّ عماد: الديمقراطيّة هي المخرج الوحيد من «المأزق الهوياتيّ»، «أماني فؤاد: «الصحوة الثقافيّة» تتطلّب «قطيعة» مع بعض نصوص التراث»، «خالد منتصر: الدّيمقراطيّة من دون علمانيّة خدعة»، «أدونيس: ما هو المشروع العربيّ اليوم للوقوف في وجه التطرّف الدينيّ»، «عزيز عظمة: ماهي عوائق التقدّم؟ وما واقع العلمانيّة في العالم العربيّ؟»، «عبد المجيد الشرفي: ماهي «البداهات الزائفة» في الفكر الإسلاميّ». اللافت للنظر أنّ هذه الأقوال تقيّم ضمنيّا المبادئ الحداثيّة تقييما إيجابيّا من خلال اعتبار الديمقراطيّة «مخرجا» من «مأزق» الهويّة، ثمّ ربطها بالعلمانيّة، في مقابل التقييم السلبيّ للمقوّمات المحلّيّة مثل اعتبار «الهويّة» «مأزقا»، أو بالدعوة إلى القطيعة مع «التراث» من أجل تحقيق «الصحوة الثقافيّة».

تسمح المؤسسّة إذن، لمن يتبنوّن الفكر الحداثيّ والقيم الليبراليّة بالنفاذ الامتيازيّ (the privileged access) إلى خطابها أكثر ممن يتبنّون أيديولوجيا معارضة منتصرة للهويّة في مناهضة العولمة إذ تستقطب قناة فرانس 24 النخب المثقّفة للترويج للعولمة عبر الحوارات التلفزيونيّة مقابل تهميش الثقافات الأخرى، فمعظم ضيوف البرامج الّتي تتناول الواقع العربيّ مثل برنامج «محاور» يتبنّون القيم الليبراليّة الحداثيّة مثل «عبد المجيد الشرفي»،[1] «أدونيس»، «خالد منتصر»،[2] و«محمّد شحرور»[3]، ولعلّ عناوين الحصص باعتبارها أقوالا للضيوف تؤكّد ذلك.

إنّ الأصوات التي تؤثّث هذا البرنامج هي أصوات تنتصر إلى القيم الغربيّة على حساب القيم المحلّيّة، بل إنّ مفهومها للحداثة والليبراليّة ينبع من مفهوم تخلّف الطرف الآخر وتُعزي أسبابه إلى مقوّمات هويّته، وهذا في حدّ ذاته دليل على توجّه القناة الأيديولوجي. يقول فيركلف: «أريد أخيرا أن أشدّد على أنّ التناص انتقائيّ، لا مناص من ذلك، في ما يقبل وما يُستبعد من الأحداث والنصوص الممثّلة في الخطاب» (Fairclough, 2003, p. 55).

يبدو توجّه القناة واضحا، فالصوت المهيمن على برمجتها وخطابها هو الصوت الحداثي، وهو منسجم مع أيديولوجيتها، يعتبر فان دايك في هذا السياق أنّ أحد الموارد الاجتماعيّة للهيمنة هو «النفاذ الامتيازيّ» إلى الخطاب، أي نفاذ من تتوفّر لديه حريّة أكبر للمشاركة في مقامات تواصليّة محدّدة (Van Dijk, 2015, p. 469)، أمّا أولئك الذين يحملون فكرا مغايرا فلا تتاح لهم المساحة الإعلامية للتعبير، يقول بورديو (Bourdieu): «إذا لم يتوفّر المتكلّم على السلطة الّتي تُخوِّلُ له أن يتفوّه بالكلمات الّتي ينطق بها فإنّ ما يصدر عنه من خطابٍ سيكون عُرضةً للفشل»(بورديو، 1990).

(1) معظم كتاباته في علاقة الإسلام بالقيم الحداثيّة مثال: «الثورة والحداثة والإسلام»، «تحديث الفكر الإسلاميّ»، «الحداثة في الفكر الإسلاميّ المعاصر»...

(2) خالد منتصر طبيب وكاتب ومقدم ومعد لبرامج تلفزيّونية، يصنف على أنه ليبرالي متفتح له الكثير من الآراء ذات الصبغة السياسية العلمانية. صدر له عدد من المؤلفات من بينها كتاب: «وهم الإعجاز العلمي».

(3) عرف محمّد شحرور بقراءاته المعاصرة للقرآن وكتب التراث، من مؤلّفاته «القصص القرآني: قراءة معاصرة»، «نحو أصول جديدة للفقه الإسلاميّ».

من هذا المنطلق تقدّم المؤسسة، نموذجا من التفكير يمكن تقليده، فقوى التحديث الغربيّة هي التي تغيّر مؤسسات المجتمع التقليديّ، وتدعم النخبة المحليّة الحداثيّة من خلال تهيئة كلّ الظروف الملائمة لها نحو التحديث، بما في ذلك تمكينها من النفاذ إلى وسائل الإعلام الدوليّة، من منطلق «فكّر عالميّا واعمل محليّا». فالخطاب الإعلاميّ الذي يحمل أيديولوجيا لا يطلب من الجمهور المتقبّل أن يسلّم بحقيقة ما فحسب، وإنّما يدعوه للعمل بها أيضا.

في نمط إعلاميّ آخر هو التقرير الإخباريّ، تتداخل الأصوات أيضا، حيث يتمّ دمج نصوص أخرى في النصّ الأصليّ، ومن المفيد معرفة هذه النصوص والأصوات الّتي تمثّلها لأنّ في ذلك توظيفا أيديولوجيّا من منظور التحليل النقديّ للخطاب، وهو الدافع للبحث في ظاهرة التناص في مستوى الممارسة الخطابيّة. ففي التقرير الرابع مثلا حول تكريم المدارس في فرنسا صامويل باتي، ينقل المحرّر موقفا لعالم الاجتماع «ميشال ويفيوركا» معتمدا التناص الحرفيّ المباشر: «ويعتقد ويفيوركا (عالم اجتماع) «أنّ النموذج الفرنسيّ القديم الرائع للاندماج أصبح أقلّ فاعليّة اليوم»: كلمة «الرائع» في هذا الموضع هي من وجهة نظر فاركلوف من «الأقوال الخبريّة التقييميّة» الّتي تتّصل أساسا بالمرغوب فيه وغير المرغوب فيه، الحسن والسيّء، يقول في هذا السياق: «إنّ الأقوال التقييميّة تخبر عن المرغوب فيه وغير المرغوب فيه. وهذا صريح عند استعمال «جيّد»، أو «سيّء»، أو «رائع» أو «بغيض». لكن يمكن أن تشير أيضا الأقوال التقييميّة إلى أهمّية أمر، أو المنفعة منه» (Fairclough, 2003, p. 172).

تستلزم هذه الأقوال التقييميّة اعتبار النموذج الفرنسيّ مرغوبا فيه، خلافا للنماذج الثقافيّة الأخرى المختلفة عنه أيديولوجيّا.

3.4. التفسير والتأويل: العلاقة بين خطاب العولمة والهيمنة الغربيّة

يسلّط هذا القسم تحديدا الضوء على تحليل الممارسة الاجتماعيّة الّتي تتناول محاور أساسيّة من أهمّها قضايا السلطة والهيمنة، والمظهر الثقافيّ وما يعنيه من قيم وهويّات، ويرى ريتشاردسون أنّ هذا البعد من التحليل هو ما يجعله تحليلا نقديا عند هذه النقطة يصبح تحليل الخطاب تحليلا نقديا للخطاب» (Richardson, 2007, p. 42). ويجب من وجهة نظره «تحليل اللغة في ما يتعلّق بالسياق الاجتماعيّ الذي تُستخدم فيه والعواقب الاجتماعيّة الناشئة عن استخدامها، وبشكل أكثر تحديدا

يجب دراسة العلاقات بين الخطاب وظروفه الاجتماعيّة والأيديولوجيات وعلاقات السلطة»(Richardson, 2007, p. 45).

بعد النظر في خطاب فرانس 24 الإعلاميّ انطلاقا من المدونة التي استندنا إليها في التحليل، تبيّنا أنّه خطاب مرّوج للعولمة وقائم على الادّعاءات الأيدولوجيّة ذاتها، التي تحدّث عنها ستيكر، ويمكن أن نلخّص النتائج في النقاط التالية:

- هناك ربط واضح بين العولمة والتحديث من جهة والدّيمقراطيّة الناجحة والتنمية الاقتصاديّة في بلد معيّن من دول الجنوب من جهة أخرى، في حين لا تنتج العولمة وتنمية رأس المال الديمقراطيّات. إذ إنّ ارتباط الدّيمقراطيّة بالعولمة لا يخلو من مفارقة: ففي العولمة تبعيّة وفي الدّيمقراطيّة حريّة.
- تركيز المؤسّسة اهتمامها على العنف والإرهاب في دول الجنوب، الإسلاميّة والإفريقيّة على وجه الخصوص، بدلا من التركيز على القضايا السياسيّة والاقتصاديّة الرئيسيّة فيها.
- تكتسب أجندات وسائل الإعلام المُعولمة الّتي تهيمن عليها صناعة الاتّصالات المعولمة أهمّيّة كبيرة بالنظر إلى ما يسمّيه توملينسون (Tomilnson) «إضفاء الطابع الإقليمي على الحياة المحلّيّة»(Fairclough, 2009, p. 330).
- التصوير الروتيني للآخر المختلف أيديولوجيّا (إيران، روسيا، الصين...). في المقابل تصوير الذات باعتبارها قوّة خير تعمل على أساس القيم وتدعم الحريّة، لكنّ الرغبة في الحريّة كما يقول فاركلوف: «يُفترض أن تكون عالميّة، ويشاركها المسلمون وغيرهم» (Fairclough, 2009, p. 333).
- إنّ خطاب «الحرب على الإرهاب» هو في الأساس أيديولوجيّ، يهدف إلى الحفاظ على الهيمنة وتوسيع نطاقها على قطاعات كبيرة من الجمهور العالميّ.
- إنّ الصحفيّين ومن يقف وراءهم مسؤولون عمّا يُقدّم لنا من أخبار وقصص وسرديّات، فهم من يقرّر أهمّيّة ما يجب أن يصلنا من أخبار.
- إنّ اعتماد هذه المؤسّسة في تقاريرها على وكالات أنباء فرنسيّة أساسا واستبعادها المصادر المحليّة، جعلها تعرض قضايا المنطقة من منظور فرنسيّ غربيّ عموما في إطار تطبيقها لسياسة الحكومة الفرنسيّة التي تدعمها. فالجهات

المالكة لوسائل الإعلام تحوّل اتّجاهات الأفراد وعقائدهم بما يخدم أهدافها وأيديولوجيّتها، إذ تمكّنها هذه الوسائط من تكوين تمثّلات ذهنيّة لدى الجمهور تتطابق مع رؤاها. ونقصد بالتمثّلات الذهنيّة تلك الانطباعات التي يمكن أن تتشكّل لدى الجمهور المتلقّي للمضامين الإعلاميّة المنشورة.

إنّ إضفاء الطابع المؤسّساتيّ على خطاب العولمة وتبنّيه على نطاق واسع هدفه الأساسيّ تحقيق هيمنة نظام عالميّ دون آخر وسيادة قيم دون أخرى، أي هيمنة العالميّ على المحليّ ثقافيّا وسياسيّا واقتصاديّا، ولذلك يرى فاركلوف أنّه من الضروريّ البحث في الخطاب باعتباره أداة من أدوات العولمة الهادفة للعمل على الاقتصاد، السياسة، والثقافة، وليس غريبا على مؤسسة إعلاميّة عالميّة أن تكون غير داعمة لكلّ ما هو محليّ من خلال صناعتها الاتّصالية المُعولمة، من أجل تهيئةً أرضيّة تُيَسِّر القبولَ بالأفكار والقيم الوافدة والترويج لها على أنّها الأفضل لتحقيق التقدّم، ممّا يُعزّز مكانتها في المجتمع الدوليّ عموما وفي أذهان الجمهور المستهدف خصوصا، على حساب قيمه المحليّة ومفاهيمه للهويّة. خاصّة أنّ البلدان النامية قد أقامت علاقة تبعيّة بكلّ ما يتّصل ببلدان العالم المتقدّم التي كانت لها جذور تاريخيّة في الاستعمار الأوروبيّ.

لم تقم وكالات الأنباء الغربيّة بتغطية أخبار البلدان النامية بشكل كاف فحسب، بل أنّ المواد الإخباريّة المغطّاة تميل إلى تعزيز صورة متحيّزة للاستعمار الغربيّ. ولذلك فهي مدعوّة لأن تصحّح التشوّهات الّتي لازمت تغطيتها للأخبار القادمة من هذه الدول. إضافة إلى أنّ عدم التوازن بين التدفّقات الإعلاميّة لهذه المؤسّسات وما تنتجه المؤسّسات الإعلاميّة المحليّة أسهم في جلب العالميّ إلى المحليّ، وساعد على بناء أجندات دوليّة تؤثر المصالح الغربيّة على المصالح الوطنيّة.

الخاتمة

يمكّننا التحليل النقدي للخطاب من الكشف عن الممارسات الأيديولوجيّة للوسائط الإعلاميّة وما تخفيه اللغة من علاقات السلطة والهيمنة، وتطبيقنا لمنهج فيركلف العلائقيّ على الخطاب الإعلاميّ الصادر عن مؤسسة إعلاميّة دوليّة أظهر لنا خطابا يمعن في تبنّي الفكر المعولم والترويج له عند الجمهور المستهدف، لأنّ

ممارسة قيم الحداثة العالميّة محليّا تخدم المصالح الثقافيّة والسياسيّة والاقتصاديّة للجهات التي تقف وراء هذه المؤسسات الإعلاميّة، باعتبار أنّ هذه القيم مثل» الديمقراطية» أو «التحديث» أو «العلمانيّة» أو «حقوق الانسان» هي من نتاج العولمة الليبراليّة، الّتي تتعارض مثلا، مع القيم المحليّة للمجتمعات العربيّة الإسلاميّة التي يُشكّلها الدين والعادات والتقاليد ومنها تستمد شرعيّة ممارساتها، على خلاف القيم الحداثيّة التي تستمدّ شرعيّتها من السياق العالمي الليبرالي. أمّا دور الوساطة الإعلاميّة فيُجسَّم أساسا في عمليّات العقلنة والتمثيل والتصنيف القيميّ حيث تُعلِي من قيم بهدف تكريسها على أرض الواقع، وتُقلِّل من أخرى سعيا إلى تصفيتها لشرعنة هيمنة نموذج عالميّ واحد دون غيره.

إنّ عمليّة العولمة قد تكون عمليّة محدودة جغرافيّا وغير متساوية بين بلدان العالم، إذ لا تتمتّع دول «الجنوب» بفرص للحصول على البنى الأساسيّة العالميّة المتزايدة الاتّساع. فالمواطنون في الدول الغربيّة يعيشون في ظلّ النظام الليبراليّ المعولم ويتمتّعون بحياة أفضل من أولئك الّذين يسكنون على هامش الكرة الأرضيّة.

بهذا المعنى فإنّ العولمة مرتبطة بعدم المساواة الناتجة عن توظيف الثروة الماديّة والأسواق الخارجيّة لصالح سكّان المركز. ورغم استقرار مظاهر التبادل الاجتماعيّ والتكنولوجيّ في دول «الشمال» المتقدّمة اقتصاديّا دون غيرها، ما زال الانخراط في «خطاب العولمة» على نطاق واسع مبرّرا.

قائمة المصادر والمراجع

- بورديو، ب. (1990). الرمز والسلطة.)ترجمة عبد السلام بن عبد العالي). الدار البيضاء: دار توبقال للنشر
- بويحي، ن.، وكيحول، ط. (2021). اتجاهات التغطية الإعلامية نحو قضايا الدول الإسلامية في الإعلام الغربي الناطق باللغة العربية ودورها في تشكيل الصورة الذهنية لدى الجمهور: دراسة تحليلية للمواد الإخبارية في موقع قناة فرانس 24. مجلة الاتصال والصحافة، 8(1)، 3-24.
- Fairclough, N. (1995). *Media Discourse*. Edward Arnold.
- Fairclough, N. (2003). *Analysing Discourse: Textual Analysis for Social Research*. Routledge.
- Fairclough, N. (2006). Semiosis, ideology and mediation. In I. Lassen, J. Strunck, & T. Vestergaard (Eds.), *Mediating Ideology in Text and Image* (Vol. 18, pp. 19-35). John Benjamins Publishing Company.
- Faiclough, N. (2009). Language and globalization. *Semiotica, 173*, 317-342,

Berlin, published by De Gruyter. Mouton.
- Halliday, M. A. K. (1976). Notes on transitivity and theme in English. *Journal of Linguistics*, 3, 199-244.
- Machin, D., & Mayr, A. (2012). *How to do critical discourse analysis: A multimodal introduction.* SAGE
- Matos, C. (2012). Globalization and the mass media. *Encyclopaedia of Globalization. Oxford* : Wiley-Blackwell.
- Richardson, J. E. (2007). *Analyzing Newspapers: An Approach from Critical Discourse Analysis.* Palgrave Macmillan.
- Steger, M. B. (2005). *Globalism: Market Ideology Meets Terrorism.* Rowman & Littlefield.
- Steger, M. B. (2005). Ideologies of globalization. *Journal of Political Ideologies,* 10(1), 11-30. https://doi.org/10.1080/1356931052000310263
- Van. Dijk, T. A. (2015). Critical Discourse Analysis, In Tannen, D. Hamilton, H. & Schiffrin, D. (eds), *the Handbook of Discourse Analysis*,(2nd ed, pp 466-485) UK, Wiley Blackwell.
- https://www.france24.com/ar/%D9%85%D9%86-%D9%86%D8%AD%D9%86